

## مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:  
فإني كنت بتوفيق الله تعالى قد خطبت لعدة جُمع في موضوع ما كان بين بعض الصحابة من خلاف، فطلب إخواني أن أدون لهم المادة ليسهل نشرها. فجمعت هذا الكتيب الذي أخرجته بشكله هذا دون حواش ولا فهرس لضيق الوقت. وأسأل الله عز وجل أن يتقبله وأن يكون سببا لقرائه في زيادة حبهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## د. إياد فنيبي

العناصر التي سنتناولها في هذا الكتيب هي:

- (1) إجابة عن تساؤل لماذا ندرس هذا الموضوع؟
- (2) تذكير بالصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم.
- (3) عرض موضوع الخلاف بين بعض الصحابة من الروايات الصحيحة
- (4) الدلالة على مراجع نافعة ونقية في هذا الموضوع
- (5) التعريف ببعض الصحابة الذين شوّهت شخصياتهم من مُزوري التاريخ
- (6) التنبيه على بعض الروايات المدسوسة في هذا الموضوع والكتب المتداولة في مجتمعاتنا والتي اعتمدت على هذه الروايات
- (7) التنبيه على خطورة التكلم عن الصحابة بطريقة سلبية

## لماذا ندرس الموضوع؟

لِتَجْلِيَةِ صورة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولئلا ينخدش حبنا لهم.  
ولماذا نحب الصحابة؟

- (1) لأننا مأمورون بسلامة الصدر تجاههم:  
قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر !!

- (2) لأننا إن أحببناهم فإن الله تعالى سيحبنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فئة من الصحابة، وهم الأنصار: ((الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله)) (متفق عليه).

3) لأنهم نقلوا إلينا الكتاب والسنة. فحبُّهم والثقة بهم يجعلنا نطمئنُ إلى صحة ما نقلوه إلينا. ونقص الثقة بهم يجعلنا في قلق وشك مما نقلوه إلينا.

4) لأن حبنا لهم يحافظ على انتمائنا لتاريخنا الإسلامي. فنحن إن لم ننتسب إلى تاريخنا الإسلامي ونفخر به فإننا نجتث من جذورنا ونحس أننا شرادم بلا أصول ولا تاريخ، ولا تبقى صورة جميلة نطمح أن نعود إليها.

5) لأن لهم فضلا علينا.

لهذه الأسباب جميعها فلا يجوز لنا أن نحمل في قلوبنا للصحابة إلا المحبة والتوقير والإجلال والوفاء.

أحتى تجاه من اقتتل منهم؟ نعم. حتى تجاه من اقتتل منهم.

ولنفهم ما وقع بين بعض الصحابة من خلاف علينا أن نضع هذا الخلاف في خلفية سيرتهم رضي الله عنهم، لنعلم أن دوافعهم ليست كدوافع أهل زماننا. فإن كان الخلاف في زماننا سببه التكالب على الدنيا وتنازع السلطة وأحقاد قديمة فالصحابة ليسوا كذلك. وأنصح إخواني بالرجوع إلى الشريط السادس في سلسلة "الصاحب والخليفة أبو بكر الصديق" للدكتور راغب السرجاني عندما تكلم عن اجتماع الأنصار في السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ووضعه في سياقه المناسب من سيرة الأنصار العطرة... ففيه منهجية طيبة في تحليل الموقف ضمن خلفيته المناسبة لئلا تضل الأفهام أو يسوء الظن بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

لذا فقبل الخوض في موضوع الخلاف أحب أن أذكر نفسي وإخواني بـ"من هم الصحابة؟" مستحضرين ونحن نعيش في رحاب سيرتهم نية التقرب إلى الله تعالى بحبهم رضي الله تعالى عنهم.

ساداتنا الصحابة أصحاب الفضل علينا: أحرقوا أجسادهم لينبروا لنا الطريق

الصحابة: بذلوا أرواحهم وأوقاتهم وديناهم كلها دفاعا عن دين الله ورسول الله فوصل إلينا الدين نقيًا محفوظًا على طبق من ذهب

الصحابة: فتحوا البلاد التي نعيش فيها ونأكل من خيراتها...

قال ابن تيمية: فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام والقرآن والعلم والمعارف والعبادات ودخول الجنة والنجاة من النار وانتصارهم على الكفار وإنما هو بركة ما فعله الصحابة الذين بلغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله.

الصحابة: هم الذين اصطفاهم الله تعالى لصُحبة رسوله وليكونوا تلاميذه... فنعيم المعلم ونعيم التلاميذ.  
 الصحابة: هم الذين أمر الله تعالى رسوله- صلى الله عليه وسلم - بمشاورتهم لِمَا عَلِمَ اللهُ مِنْ صِدْقِهِمْ وَصِحَّةِ إِيمَانِهِمْ وَخَالصِ مَوَدَّتِهِمْ وَوُفُورِ عَقْلِهِمْ وَنُبَالَةِ نَفُوسِهِمْ وَتَبَيُّنِ أَمَانَتِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ  
 الصحابة: على أيديهم سقطت عروش الكفر وتحطمت شعائر الإلحاد وذلت رقاب الجبابرة والطغاة ودانت لهم الممالك (الاستنفار للذب عن الصحابة الأخيار) .

الصحابة هم جيلٌ حصل على شهادة تزكية.. مِنْ مَنْ؟ من الله رب العالمين... شهادة لا يمكن أن يحصل عليها أحد بعينه بعدهم إلى يوم الدين. فالله تعالى قد وصف المهاجرين بالصدق... صدق في النوايا وصدق في الزهد في الدنيا ونصرة الدين. ووصف الأنصار بالإيثار حتى في الفقر. ومن كان هذا شأنهم فإنهم لا يتصارعون على دنيا. قال الله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ

يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ۗ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ الحشر!!

!!وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا!!!! أي أن الأنصار لا يحسدون المهاجرين على ما أعطاهم الله من ثواب على هجرتهم.  
 وقال تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ

عَلَيْهِمْ وَأَنْبَتَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ الفتح

!!لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ!!): فهذا خبر لا يحتمل النسخ ولا التأويل.

!!فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ!!): أي: من صدق النية والوفاء بما عاهدوا عليه من نصره الله ورسوله.  
 فالنية التي لا سبيل لأحد من البشر أن يطلع عليها قد زكَّأها العليم بها سبحانه وتعالى.

وقد تاب الله على الصحابة. قال تعالى:

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿ التوبة

اتَّبَعُوا النَّبِيَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي لَهْبَانَ الْحَرِّ وَبَعْدَ الْمَسَافَةِ فَأَصَابَهُمْ فِيهَا جَهْدٌ شَدِيدٌ...

روى الحاكم أن عمر رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده (قال الذهبي: على شرطهما، وصححه الألباني).

...لتعلم لماذا سماها الله تعالى ساعة العسرة. وهذه كانت آخر غزوات النبي.

والله تعالى قد بين أن الصحابة رحماء بينهم وأن مبتغاهم في أعمالهم رضوان الله ومثوبته:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

﴿ وَرِضْوَانًا ﴿ الفتح

هؤلاء هم الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم... صدق في النوايا والأعمال... نصره للدين... زهد في الدنيا... إثارة على أنفسهم... رحمة بالمؤمنين... وهذا كله بشهادة الله تعالى لهم. ولهذا كله فمن أراد رضوان الله والجنة فلا سبيل له إلا اتباع الصحابة. قال تعالى:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

﴿ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

﴿ التوبة

وعلى ضوء هذه التزكية من الله تعالى لنوايا الصحابة ينبغي فهم مواقفهم جميعها.

لتعرف من هم الصحابة، خذ موقفاً من مواقفهم: حفر الخندق. عن أنس رضي الله عنه قال : لقد رأيت المهاجرين و الأنصار يحفرون الخندق حول المدينة و ينقلون التراب على ظهورهم يقولون: نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً و رسول الله صلى الله عليه و سلم يجيبهم و يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار و المهاجرة فَبَجَاءَ بِالصَّحْفَةِ فِيهَا مِلءٌ كَفٌّ مِنْ شَعِيرٍ مَحْشُوشٍ قَدْ صَنَعَ بِإِهَالَةِ سَنَخَةٍ (دهن متغير الرائحة لِقَدَمِهِ) فتوضع بين يدي القوم و هم جِياع و لها بشعة في الحلق و لها ريح (تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم)

لتعرف من هم الصحابة...إليك موقفاً آخر:

عن أبي موسى قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقه. فنقبت (أي: تقرحت) أقدامنا، فنقبت قدمي وسقطت أظفاري. فكنا نلفُّ على أرجلنا الخِرَقَ فسُميت غزوة ذات الرِّقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخِرَقِ (مسلم)

لذا قال رسول الله: ((لا تسبُّوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه)) (البخاري ومسلم). ولذا كان ابن عمر يقول : ( لا تسبُّوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم! فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمرة ) (صححه الألباني).

وقد كان الصحابة أماناً للأمة فترة أن عاشوا فيها... دفعوا الشبهات و كانوا خير قدوات وعز المسلمون في زمانهم. فلن نعود إلي هذا الأمان والعزة إلا إذا عظّمنا سيرتهم وعشناها وطبقناها في ذوات أنفسنا...في صحيح مسلم عن أبي موسى قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. فجلسنا فخرج علينا فقال: ((ما زلتم ههنا؟)) قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: ((أحسنتم)) أو ((أصبتم)). فرفع رأسه إلى السماء -وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء- فقال: ((النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما تُوعَد. وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون))...



## أولاً: موقعة الحمل

بدأت الفتنة سنة سِتِّ وثلاثين عَقِبَ استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قتله الخارجون عليه، ومبايعة علي رضي الله عنه خليفة بعده.

أما أسباب خروج البعض على عثمان والدفاع عنه رضي الله عنه فقد ذكرتها في سلسلة سيرة عثمان رضي الله عنه.

لكن يهمني هنا أن أذكر شيئاً من علاقة علي بعثمان رضي الله عنهما: قال علي رضي الله عنه: لو سيرني عثمان إلى صرار (وهو موضع بعيد بعض الشيء عن المدينة) لسمعت وأطعت (مصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح)

و عن أبي سعيد الخدري قال: ... فقلت (لعلي): عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن علي سميت به عثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب (مسند أحمد- قال أحمد شاكر: إسناد صحيح).

- وذكر خليفة بن خياط أن متمردين نزلوا في ذي المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفاً، فأرسل إليهم عثمان علياً ورجلاً آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم علي رضي الله عنه وردهم دون قتال.

- وأنصح إخواني بالرجوع إلى كتاب الدكتور الصلابي ليروا علاقات المصاهرة بين أولاد وأحفاد كل من علي وعثمان رضي الله عنهما ليعلم أنهما كانا متحابين متأخيين.

- فحتى على فرض ثبوت أن عليا اختلف مع عثمان رضي الله عنهما في بعض التقديرات والاجتهادات، فإن هذا الاختلاف لم يمنع عليا رضي الله عنه من محبة عثمان وطاعته والدفاع عنه.

موقف علي من الخارجين على عثمان:

- كنا قد ذكرنا في سلسلة سيرة عثمان أن عثمان رضي الله عنه نهى الصحابة عن قتال الخارجين عليه وذكرنا سبب ذلك. لكن يبدو أن كبار الصحابة رضي الله عنهم أرسلوا أبناءهم دون استشارة عثمان رضي الله عنه. ومن هؤلاء الحسن بن علي رضي الله عنهما... ومما يدل على ذلك ما رواه ابن سعد بسند صحيح في الطبقات أن الحسن بن علي حمل جريحاً من دار عثمان... أي أن الحسن دافع عن عثمان لكن البُغاة قتلوا عثمان ونالوا ممن لازمه لحراسته كالحسن. و ذكر خليفة بن خياط في تاريخه أن الحسين بن علي و عبد الله بن عمر وغيرهما كانوا في دار عثمان لحراسته.

- وقد ورد بإسناد قوي -كما قال الدكتور الصُّلابي- أن مروان بن الحكم قال: (ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم)... يعني علياً عن عثمان.

- وروى الإمام أحمد بسند صحيح في فضائل الصحابة عن محمد بن الحنفية (وهو ابن علي رضي الله عنه) قال : كنت مع علي وعثمان محصور، فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول. ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة. فقام علي فأخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال: خَلِّ لا أمَّ لك. فأتى علي الدار وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك. فقال لهم علي: (لا تريدوني. فإني لكم وزير خير مني لكم أمير) فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحق بها منك. قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني) فخرج إلى المسجد فبايعه الناس.

- وعن قيس بن عبَّاد قال : سمعت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول : (اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. و لقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان و أنكرت نفسي و جاؤوني للبيع فقلت: و الله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((ألا أستحيي ممن يستحيي منه الملائكة؟!)). و إني لأستحيي من الله أن أبايع و عثمان قتيل على الأرض لم يَدفن بعد). فانصرفوا. فلما دُفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت : (اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا : (يا أمير المؤمنين) فكأنما صدع قلبي، و قلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى). وانسكب بعبرة (أي دمعت عيناه) (رواه الحاكم في المستدرک وقال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم).

يتبين مما سبق أن علياً رضي الله عنه كان معترفاً بخلافة عثمان رضي الله عنه، مطيعاً له، غير راضٍ بخروج المتمردين علي عثمان، وأنه لم يطلب الخلافة وإنما اضطره الناس إليها وكان لا بد من قبولها لئلا يستبد المتمردون بالسيطرة على المسلمين.

وجاء المتمردون على عثمان لبايعوا علياً رضي الله عنه...وهنا نشأ الإشكال! فهو رضي الله عنه لا يريد إحداث فتنة الآن، فالامتناع من مبايعتهم وإعلان الحرب عليهم سيُشعل حرباً ضروساً مع هذه الفئة الغوغائية كثيرة العدد والأُنصار... و قد يُقتل في هذه الحرب عامة الصحابة وكثير من المضللين المفتونين بالمتمردين... وهو عين ما كان يحذره عثمان الذي أثر أن يُقتل على حدوث هذه الفتنة.

في المقابل رأى بعض الصحابة وجوب الاقتصاص من قتل عثمان على

الفور... فهم لم يكونوا يتصورون أن يصل الحد بالمتمردين على عثمان إلى قتله وبهذه الطريقة المنتهكة للحرمة... فلما قُتل اعتبروا أنهم لا يوفون الخليفة المظلوم حقه ولا يحفظون للخلافة هيبتها إلا إذا اقتصوا من قتل عثمان... ومن هؤلاء الصحابة أم المؤمنين عائشة والمبشران بالجنة الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعا. وهم جميعا يقرون بخلافة علي رضي الله عنه ولا يتهمونه بالتفريط في دم عثمان. قال ابن حزم رحمه الله: (وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن معهم فما أبطلوا قَاطِبُ إمامة علي، ولا طَعَنُوا فِيهَا، ولا ذَكَرُوا فِيهِ جَرْحَةَ تَحْطَهُ عَنِ الْإِمَامَةِ، ولا أَحَدَثُوا إِمَامَةَ أُخْرَى، ولا حَدَدُوا بَيْعَةَ لغيره).

ونصح بالرجوع إلى كتاب الصُّلَّابِي (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) حيث أورد طرفا من سيرة كل من عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم. فإذا رأيت في سيرهم الإخلاص والزهد وإرادة الآخرة وتزكية رسول الله لهم عرفت أنهم لم يكونوا طلاب دنيا.

خرجت أم المؤمنين عائشة ومعها مجرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير والزبير وطلحة قاصدين الكوفة لتكون أولى محطة يستنفرون منها الناس للاقتصاص من قتلة عثمان... وذكر الزهري أن عامة أهل البصرة تبعوهم. لكن كان في البصرة بعض المتتمردين على عثمان فهاجموا جيش طلحة والزبير ووقع القتال.

وتصل الأنباء إلى أمير المؤمنين علي... في بلاد هو خليفتها يحدث قتال وقتل... وجيش علي أم للمؤمنين واثنان من المبشرين يقاتل بعض أهالي البصرة التي عليها والي لعلي... ما الذي يحدث يا ترى؟! ولماذا القتال يا زبير ويا طلحة؟ لا بد أن هذه أسئلة دارت في خاطر أمير المؤمنين... فتوجه علي رضي الله عنه إلى البصرة بجيش لينصر الحق أيا كان أصحابه... وقد أورد الطبري رواية توضح تفاصيل ما جرى من مراسلات بين جيش علي وجيش طلحة والزبير... لكنها من طريق سيف بن عمر وسأبين لاحقا ما فيه من ضعف. وهذه الرواية وإن كانت جميلة التفاصيل ودالة على قصد الطرفين للخير إلا أنني أثرت الإعراض عن روايات المجروحين كلها، حتى تلك التي تشهد لما أوصل له من خيرية الصحابة، لئلا يقال: كيف تعرض عن رواية تعارض ما تحاول إثباته وتستدل برواية لصالحك مع أن الراوي لهما واحد.

إنما الثابت الذي اتفق عليه الأئمة كالطبري وأبي بكر بن العربي وابن حزم وابن الأثير وابن تيمية وابن كثير وابن حجر أن عائشة وطلحة والزبير ما قصدوا قتال علي، وأن عليا اطمأن لما علم مقصدهم من خروجهم فلم يرد قتالهم، وأن الجيشين باتوا بخير ليلة متفقين.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم، فبرأوا حرمة نبيهم، واحتجوا عليها عندما حاولت الامتناع بقول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن

نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء)... ثم قالوا لها: إن النبي قد خرج في الصلح وأرسل فيه. فرجت المثوبة واغتنمت الفرصة، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها) اهـ. فعائشة وطلحة والزبير كانوا يقصدون من خروجهم الإصلاح بالإضافة إلى إيقاع القصاص... فترك قتلة عثمان دون قصاص سيحدث فتنة عظيمة بين قتلته وعشائرتهم ومتبعيهم بجهل من ناحية وبين أقرباء عثمان من بني أمية وأنصار عثمان من عموم المسلمين من ناحية أخرى.

قال ابن حزم: (وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علي رضي الله عنه، ولا قصد علي رضي الله عنه قتالهم، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان رضي الله عنه، وإقامة حق الله تعالى فيهم) اهـ.

- فلما رأى محدثوا الفتنة من قتلة عثمان - وكانوا مندسين في جيش علي- اتفاق الطرفين، علموا أن هذه خطوة أولى لتقوية شوكة الصحابة وتمكين الأمر لهم... فلا بد أن الخطوة التالية ستكون اتفاق الطرفين على الاقتصاص من قتلة عثمان... فدبروا مكيده خبيثة، حيث استغلوا ظلمة الليل فأغاروا على جيش طلحة والزبير لإيهام الجيش أن جيش علي غدر بهم. ف وقعت بذلك الحرب التي لم يرد لها قادة أي من الطرفين.

- قال ابن حزم: (فليما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة (أي الطلب والتدبير) عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم. فدفع القوم عن أنفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدت بها بالقتال. واختلط الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد علي أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرارهم! فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها) اهـ.

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن الصحابة جميعاً لم يشارك أحد منهم في قتال يوم الجمل. فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها. بل إن طلحة قتل بسهم أصابه والزبير ترك ساحة القتال لما رأى ما كان فاتبعه رجل فقتله غيلة. وعلى الرغم من رفض الصحابة لهذا القتال إلا أنهم لم يستطيعوا إيقاف الآلاف من الجيشين الذين كانوا في خصم المعركة، خاصة أن قتلة عثمان ومن شايعهم لم يفتروا عن تأجيج نار الحرب.

وسقطَ الجمل الذي كان يُقَلُّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والذي به سميت المعركة... وحسبت المعركة لصالح جيش علي.

وقد روى الطبري في تاريخه نماذج عظيمة من نبل علي في التعامل مع أم المؤمنين وإكرامه إياها بعد انتهاء الموقعة، وصلاته على قتلى الطرفين، لكنها من طريق سيف بن عمر فتركها اعتمادا على المنهج الذي أسلفته في عدم ذكر روايات المجروحين سواء كانت لنا أو علينا. لكن يكفينا أن عليا رضي الله عنه قد ردها مكرمة إلى مأمنها، ملتزما في ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له. فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيكون بينك وبين عائشة أمر)). قال علي: (فأنا أشقاهم يا رسول الله!) قال: ((لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها)) قال الحافظ في الفتح: سنده حسن).

و رأى علي طلحة بن عبيد الله بين القتلى فأجلسه ومسح التراب عن وجهه وقال: (عزيز علي أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء أبا محمد) وبكى رضي الله عنه (أسد الغابة-وقال البوصيري: رجاله ثقات. نقله عنه ابن حجر في المطالب العالية مع اختلاف يسير في ألفاظه).

عدد الذين اشتركوا في موقعة الجمل من الصحابة: المفاجأة الكبيرة هي عدد الذين اشتركوا في موقعة الجمل من الصحابة. فعامة المسلمين يظنون أن أكثر الصحابة اشترك في الجمل وصفين، وليس الأمر كذلك... وإنما يطلق عليهما الفتنة بين الصحابة لأن الحرب تسمى بأشرف من فيها من الطرفين... وإلا فعدد الصحابة الذين شاركوا في الموقعتين قليل جدا. ممر أ

- قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب (مصنف ابن أبي شيبة). وهو هنا يشير إلى كبار الصحابة ممن شهد بدرا، وإلا فقد شارك غيرهم وإن كانوا قليلين أيضا.

ولنا مع معركة الجمل وقفتان أخيرتان: الأولى: قد صح أن أمنا عائشة رضي الله عنها أثناء توجهها لجمع الأنصار على قتلة عثمان لما وصلت منطقة يقال لها الحواب سمعت نباح الكلاب، فقالت: (ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: ((أيتكن تنبح عليها كلاب الحواب)). فقال لها الزبير: ( أترجعين! عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس)...هذا الحديث صحيح لكن لا نهى فيه لعائشة عن متابعة المسير. أما حديث: ((إياك أن تكوني يا حميراء)) فلا يصح.

الثانية: اختلف المحدثون في تصحيح حديث أن علياً دعا الزبير في معركة الجمل فذكره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ((لتقاتلنه وأنت له ظالم))، أي: لتقاتلن يا زبير علياً يوماً ما وأنت له في هذا القتال ظالم. فقال الزبير: (لم أذكره-أي: كنت قد نسيتَه) ثم امتنع عن القتال وترك المعركة...وقد يستشكل البعض مثل هذه الرواية ولا يراها منسجمة مع قولنا أن جيش طلحة والزبير لم يرد قتال علي. فنقول وبالله التوفيق:

الحديث بداية قد اختلف في تصحيحه، فضعفه ابن الجوزي والهيثمى وحسين سليم أسد وغيرهم. ثم على فرض صحته فيمكن التوفيق بينه وبين ما تقدم بوجهه، منها مثلاً أنه لما هاجم قتلة عثمان جيش الزبير ليلاً ظن الزبير أن ذلك بأمر علي فغضب وأراد القتال. لكن على كل حال نحن لا ندعي عصمة الصحابة أو أنه لا يقع منهم ذنب مطلقاً ولا خطأ في التقدير. ويكفينا في هذه الرواية علي فرض صحتها أن الزبير امتثل مباشرة عندما ذكره علي بقول رسول الله له...فأدرك أنه أخطأ التقدير فترك القتال ولم يكابر. إنما الذي تنفيه يقينا هو ما يحاول ملوثو تاريخ الصحابة أن يلفقوه من أن الصحابة تصارعوا على الحكم أو اقتتلوا لخلافات قديمة...بل هم رضي الله عنهم حتى لو وقع منهم خطأ أو زلة فإنهم توابون أوأبون. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

الأعراف

ولا شك أن الصحابة لهم من هذه الآية أوفر حظ وأتم نصيب.

### ثانياً: موقعة صفين

-وهذه وقعت بين جيش علي وجيش معاوية رضي الله عنهما بعد معركة الجمل لاختلافٍ بينهما في الموقف من قتل عثمان. وقد يتساءل أحدهما: لماذا يلجأ صحابة إلى السلاح بهذا الشكل؟ وجواباً أقول: هذا الحزم امتداد لخاصية عظيمة فيهم...ألا وهي القوة في نصرته ما يرونه حقاً...فالصحابة لم يكونوا كأهل زماننا: يعرفون الحق فلا ينصرونه ولا يقمعون باطلا... بل إذا اقتنعوا بقضية بذلوا أنفسهم في الدفاع عنها... وبهذه الخاصية فتحوا البلاد وقوضوا دعائم الظلم ونشروا العدل وأزاحوا الطواغيت عن عروشهم...وحزم بعضهم في التعامل مع قضية مقتل عثمان بالطريقة التي رآها حقاً إنما كان امتداداً في شخصيته لخاصية نصرته الحق. ونحن قد نتضيق أحياناً من فرط دلال الأم لولدها، لكن علينا أن نستحضر أن هذا امتداد لخاصية الحنان والعطف التي بدونها لا يمكن لأمر أن تحسن رعاية أولادها.

والصحابة الذين لم يشتركوا في الجمل أو صفين لم يكونوا أقل نصرته للحق بل رأوا الحق في اعتزال الفريقين كما سيأتي.

## مقدمات الحرب:

قبل أن نعرض موقف كل من الفريقين المختلفين، فريق علي وفريق معاوية أحب أن نقف عند سيرة كل منهما. أما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقد أفردنا له سلسلة في تبيان حب الله ورسوله له، وحيه لله ورسوله، وشجاعته وقوته وجهاده وزهده وفطنته وأمانته وغير ذلك ينصح بالرجوع إليها.

وهنا أحب في عجالة أن أعرف المسلمين بشخصية معاوية بن أبي سفيان... فإننا إن عرفنا من هو معاوية استطعنا بإذن الله، أن نفسر مطالبته بدم عثمان تفسيراً صحيحاً.

### معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

قال الربيع بن نافع : (معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه)... نعم! فالبعض يستغل ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما للطعن في معاوية باسم حب علي. فإذا سكت الناس عن تجاوز هذا الخط الأحمر وعن الطعن في صحابي أصبح من الممكن للموتورين أن يتكلموا في غيره من الصحابة... وإذا سقطت عدالة الصحابة عند الناس بدأ الطعن على الدين الذي نقلوه إلينا... لذا فدافعنا عن معاوية هو دفاع عن جوهر صحبة النبي صلى الله عليه وسلم. فنقول-وبالله تعالى التوفيق:-

### أولاً) معاوية صحابي:

فما روي عن سعيد بن المسيب أنه لا يُعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين - هذا المذهب لا يصح عن سعيد والإجماع على خلافه. قال الحافظ العلائي رحمه الله: (والإجماع منعقد في كل عصر على عدم اعتبار هذا الشرط في اسم الصحابي).

فالصحابة ليسوا هم المهاجرين والأنصار فحسب، وإن كانوا أفضل الصحابة. لكن يدخل أيضا في مسمى الصحابة من هاجر قبل الفتح كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ومن أسلم بعد الفتح كمعاوية رضي الله عنهم جميعا.

-قال الحافظ العلائي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ !!

قال: (أتبع الله ذلك بفضيلة الصحابة الذين غزوا معه صلى الله عليه وسلم وقسمهم إلى السابقين الأولين ومن بعدهم ثم أتبع ذلك بذكر الأعراب وأهل البوادي الذين في قلوبهم نفاق أو لم يرسخوا في الإسلام فقال تعالى:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ التوبة!!

فدل على أن المراد بالذين اتبعوهم بإحسان هم بقية الذين تأخر إسلامهم، فشملت الآية جميع الصحابة) اهـ.

فلاحظ كيف أن الآيات لم تصف من تأخر إسلامه بالنفاق كما وصفت به بعض الأعراب. بل قالت في هؤلاء الذين تأخر إسلامهم (الذين اتبعوا

السابقين الأولين بإحسان):! ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾!!

-وقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا

وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (الحديد)

-إذن فمن أنفق من بعد الفتح وقاتل -وإن لم يكن بمنزلة من أسلم قبل الفتح- إلا أن الله تعالى قد وعده الحسنَى...ومعاوية من هؤلاء الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا.

ثم إن التشكيك في صحة إسلام من أسلم بعد الفتح مخالف لما أمرنا به من إحسان الظن بالمسلمين عموماً، فكيف بمن صحب النبي صلى الله عليه وسلم؟

ثم لو لم يكن إسلام معاوية صحيحاً فلماذا إذن ثبت على الإسلام أيام الردة ولم يناصر المرتدين مع أنهم كانوا أكثر قوة وعدداً من المؤمنين؟ - وقد روى عن معاوية الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، وهما لا يرويان إلا عن الثقات العدول.

- فمعاوية رضي الله عنه إذن صحابي آمن برسول الله وسمع منه وحدث عنه، ولم يطعن أحد من الصحابة في إسلامه، ومات على الإسلام. فماذا ينقصه حتى يدعي أحد أنه ليس صحابياً؟! (ثانياً)

معاوية خال المؤمنين: فهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم..

ثالثاً) معاوية رضي الله عنه مجاهد:

(أ) شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة حنين

(ب) وجاهد في جيوش أبي بكر

(ج) وفتح جزيرة قبرص في عهد عثمان

(د) قال ابن كثير: (ولم تزل الفتوحات والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنجة وغيرها) (البداية والنهاية لابن كثير-الجزء الثامن ص119).

أليس عيباً ألا يعرف عنه المسلمون إلا أنه اقتتل وعلياً رضي الله عنهما ورفَع في الجنة منزلتهما؟!  
رابعاً) من فضائل معاوية:

- قال عمير بن سعد رضي الله عنه : لا تذكروا معاوية إلا بخير فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به)) (رواه البخاري في التاريخ الكبير (240/5)، وأحمد في المسند (17929) والترمذي في جامعه وغيرهم، وصححه الألباني وقال الترمذي: حسن غريب).

- وأخرج البخاري (2766) أيضاً من طريق أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا)). قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: ((أنت فيهم)).

(قال ابن حجر: أوجبوا أي: فعلوا فعلاً وحببت لهم به الجنة).

قال ابن حجر في (الفتح): (قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر).

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت غلاماً أسعى مع الصبيان فالتفت فإذا نبي الله صلى الله عليه وسلم خلفي مقبلاً فقلت ما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا إلي قال فسعيت حتى أختبئ وراء باب دار قال فلم أشعر حتى تناولني قال فأخذ بقفاي فحطاني حطاة قال: ((أذهب فادع لي معاوية)) وكان كاتبه، فسعيت فقلت: (أجب نبي الله صلى الله عليه وسلم فإنه على حاجة) (تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن).

- بل معاوية من كُتِّب الوحي. قال الشيخ سليمان العلوان في كتابه (الاستنصار للذب عن الصحابة الأخيار):

(بيد أنه لا خلاف بين أحد من أهل العلم في كون معاوية رضي الله عنه أحد كتّاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرأت كتب الحديث والعقيدة وتتبع كتب السير والمغازي وفتشت في بطون الكتب فلم أجد أحداً خالف في هذا الأمر) اهـ.

خامساً) معاوية أمير حليم مؤتمن:

ولاه عمر وعثمان على الشام عشرين عاماً بعد موت أخيه المجاهد يزيد بن أبي سفيان:

قال الهيثمي في (تطهير الجنان):

(اتفاق كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وهما من همة في الفضل والصحة ولهما المكان الأعلى والمثل من الورع والدين والتقوى وسداد الرأي وحسن الفكر وتمام النظر، على تأمير معاوية

رضي الله عنه علي الشام لهُو أكبر دليل على فضل معاوية واستحقاقه لهذه المنزلة... فأبي فضل بعد هذا؟! وأنصح إخواني بالرجوع إلى شروط عمر رضي الله عنه الحازمة في تعيين الولاة من كتاب سيرة عمر بن الخطاب للدكتور الصلابي ليُعلم أن عمر كان لا يتردد في عزل من رأى فيه نقيصة من ولاته. فتقته العالية في معاوية ذات دلالة عميقة. ثم قال الهيثمي:

(وأما معاوية فأقام في إمارته على دمشق الشام هذه المدة الطويلة، فلم يشك أحد منه، ولا اتهمه بجور ولا مظلمة. فتأمل ذلك ليزداد اعتقادك، أو لتسلم من الغباوة والعناد والبهتان).

و قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) (132/3): (حسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم وهو نجر - أي: مكان حساس، وهو بلاد الشام، فهي خط ساخن مواجه للروم، العدو اللدود للمسلمين- فيضبطه ويقوم به أتم قيام ويرضي الناس بسخائه وحلمه... فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه. وله هنات وأمور، والله الموعود. وكان محبباً على رعيته. عمل نيابة الشام عشرين سنة والخلافة عشرين سنة ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم وحكم على العرب والعجم. وكان ملكه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك) اهـ.

- إذن فمعاوية حكم والياً وخليفةً قرابة الأربعين عاماً... كان فيها حاكماً بما أنزل الله معزاً لأمر المسلمين حامياً لهم من عدوهم... فأبي شرف بعد هذا؟! وقد روى الإمام مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)). وقد كان معاوية محبباً على رعيته كما ذكر الذهبي، فهو لذلك من خيار الأئمة.

- وروى ابن عساکر بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما رأيت رجلاً كان أخلق للملك من معاوية كان الناس يردون منه على أرجاء واد رحب ولم يكن بالضيق الحصر العصص المتغضب)... أي: كان حليماً واسع الصدر ولم يكن ضيق الصدر سريع الغضب.

- و روى ابن عساکر في (تاريخ مدينة دمشق) (185/59) بسند صحيح من طريق ابن أبي الدنيا عن هشام بن عروة قال: صلى بنا عبدالله بن الزبير يوماً من الأيام فوجم بعد الصلاة ساعة فقال الناس: لقد حدث نفسه. ثم التفت إلينا فقال: (لا يبعدن إني هند إن كانت فيه لمخارج لا نجدتها في أحد بعده أبداً. والله إن كنا لنفرقه وما الليث على برائته بأجراً منه فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه

فيتخادع لنا - يبين ابن الزبير بكلامه تلتطف معاوية برعيته، فمن خوفه أظهر له الخوف تحلماً وإلا فهو شجاع كالليث، ومن حاول خداعه أظهر له معاوية أنه انخدع مع أنه ذكي صاحب دهاء، وهذا من حسن سياسته ورفقه برعيته- ثم قال ابن الزبير: والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر- وأشار إلى أبي قبيس- لا يتحول له عقل ولا ينقص له قوة) قال الراوي هشام: فقلنا أوحش والله الرجل (أي: ذكّرنا بمعاوية الذي له وحشة واشتياق).

- واليكم رواية صحيحة جميلة تبين حلم معاوية وما له من فضل على المسلمين.

رواها الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) وعبد الرزاق صاحب المصنف وقال فيها ابن عبد البر في (الاستيعاب 671): (وهذا الخبر من أصح ما يروى من حديث ابن شهاب. رواه عنه معمر جماعة من أصحابه)... أن مسور بن مخرمة رضي الله عنه قدم وافداً إلى معاوية بن أبي سفيان فقضى له معاوية حاجته ثم دعاه فأخلاه -أي خلى به- فقال :

(يا مسور ما فعل طعنك على الأئمة؟!).

فقال المسور: دعنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له.

فقال معاوية: (لا والله لتكلمن بذات نفسك والذي نقمت علي).

قال المسور: فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلا بينته له.

فقال معاوية : (لا أبرأ من ذنب. فهل تعدُّ لنا يا مسور مما نلني من الإصلاح في أمر العامة؟ فإن الحسنة بعشر أمثالها. أم تعدُّ الذنوب).

ثم قال معاوية: (فإننا نعتزف لله بكل ذنب أذنبناه. فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم يعف الله لك).

فقال المسور : نعم .

قال معاوية: (فما جعلك برجاء المغفرة أحقّ مني؟! فوالله لما آلي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخير بين أمرين: أمر الله وغيره إلا اخترت أمر الله على ما سواه. وإنني لعلى دين يقبل فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات والذنوب إلا أن يعفو الله عنها. فإنني أحسب كل حسنة عملتها بأضعافها من الأجر، وألي أموراً عظماً لا أحصيها ولا يحصيها من عمل بها لله في إقامة الصلوات للمسلمين والجهاد في سبيل الله والحكم بما أنزل الله والأمور التي لست أحصيها، وإن عددتها فتكفي في ذلك). قال المسور: فعرفت أن معاوية قد خصمني حين ذكر ما ذكر (أي: غلبني بحجته في النقاش)، وهذا اعتراف من المسور رضي الله عنه بأن معاوية بحق له من الفضائل الكثير الذي يرجى له معه أن يعفو الله عن ذنوبه.

قال عروة بن الزبير : لم أسمع المسور بعد يذكر معاوية إلا صلى عليه (أي: دعا له).

- فانظر كيف أن المسور كان ينتقد معاوية صراحة حتى أن ذلك بلغ معاوية، لكن معاوية أخذه بالرفق والإقناع ولم يهدده ولم يؤذ به بل قضى للمسور حاجته التي جاء من أجلها قبل أن يفاتحه بالموضوع، وفي هذا أدب وحلم بينان.

- وكان معاوية في رفقه وعدله كان يمثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك. فعن سعيد بن عمرو أن معاوية أخذ الإداوة بعد أبي هريرة يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتكى أبو هريرة -أي مريض- فبينما هو يوضئ رسول الله -أي: يمسك له الإداوة التي يأخذ منها رسول الله الماء للوضوء- رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: ((يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل)). قال معاوية: (فما زلت أظن أنني مبتلى بعمل لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ابتليت) (صححه الهيثمي).

### سادسا: ثناء الصحابة والأئمة عليه:

(1) روى البخاري في صحيحه أنه قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة. فقال ابن عباس: (إنه فقيه). ومن الذي يشهد بهذه الشهادة؟ حبر الأمة الذي دعا له رسول الله قائلا: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). وتذكر أن ابن عباس الذي ذكرنا له إلى الآن ثلاث روايات صحيحة في الثناء على معاوية كان ممن يرى رأي علي رضي الله عنه وهو مع ذلك يشهد هذه الشهادة الحقة في معاوية.

(2) روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن أبي الدرداء قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله من أميركم هذا - يعني معاوية. (3) وعن ابن عمر بإسناد صحيح أنه قال: (ما رأيت أحداً بعد النبي كان أسود من معاوية) أي: ما كان أحد بعد النبي أسخى ولا أكرم من معاوية- كما فسرها الإمام أحمد.

(4) وروى ابن عساکر في (تاريخ دمشق) أن عبد الله بن المبارك سئل: (أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟). ففضل معاوية ثم قال: (صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (رسول الله): سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد. فما بعد هذا؟) أي أن رسول الله كان يقول في صلاته: سمع الله لمن حمده، وهو دعاء بأن يسمع الله ويحبب من حمده، فيقول معاوية كغيره من الصحابة المؤتمنين بالنبي في هذه الصلاة: (ربنا ولك الحمد)، فتصبيه بركة دعوة النبي بأن يسمع الله لمن يحمده.

(5) وروى الخلال في (السنة) بسند صحيح (434/2) عن أبي بكر المروزي قال: قلت لأبي عبد الله (أي: الإمام أحمد): أيهما أفضل: معاوية

أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: (معاوية أفضل. لسنا نقيس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((خير الناس قرني الذين بُعِثُوا فيهم)).

فهذه نبذة من سيرة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه. والآن، وعلى نور من هذه السيرة- نريد أن نفهم موقف معاوية رضي الله عنه.

-النعمان بن بشير يحمل قميص عثمان مضرجا بالدماء إلى معاوية بالشام. ومعاوية تربطه بعثمان روابط عدة... فهما أبناء عمومة، ومعاوية هو الوالي المؤتمن لعثمان على الشام طوال ستة عشر عاماً، بالإضافة إلى أخوة الدين وحق عثمان كأمر للمؤمنين على معاوية كأحد هؤلاء المؤمنين.

كل هذا كان سببا في أن يعتري معاوية وأهل الشام حالة من الغضب العارم لمقتل عثمان رضي الله عنه، خاصة أن طريقة القتل كانت بشعة للغاية... أمير المؤمنين المبشر بالجنة ذو النورين زوج ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم... من فتحت في عهده البلاد ونعم العباد ستة عشر عاماً متصلة، ولا يزال الناس يقرؤون القرآن من مصحفه إلى يوم الدين، قد تجاوز الثمانين وجلس يقرأ القرآن صائماً فيدخل عليه أوباش من الناس فيعملون السيف في جسده الطاهر في الشهر الحرام في البلد الحرام... ويسقط الخليفة المظلوم الحليم الذي فدى دماء المسلمين بدمه... يسقط شهيدا وتعلو الروح الطيبة إلى النعيم... حَدَّثَ وَلَا شَكَّ اعْتَصَرَ قلوب الصحابة والمؤمنين إلى يوم القيامة ألماً وغباً.

- هذا كله حذا بمعاوية رضي الله عنه وأهل الشام أن يشرعوا في الاقتصاص من المجرمين. وكان معاوية وأهل الشام يرون أن هذا الاقتصاص يجب أن يقدم على البيعة لخليفة جديد. وكان من مبرراتهم الظاهرة ما يلي:

أولاً) اعتبار أن الرد على هذا المنكر لمن قَدِرَ عليه فرض كفاية لا يتوقف على إمام يرجع إليه فيه.

ثانياً) كان معاوية رضي الله عنه يرى أن مسؤولية الاقتصاص من قاتلي عثمان الذي قتل مظلوما تقع عليه، فهو ولي دمه، وقد صار رأس بني أمية مكانة بعد استشهاد عثمان. والله تعالى يقول:

﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٣٣)

الإسراء

ثالثاً) كان قتلة عثمان قد اندسوا في معسكر علي، وهم كثر لهم شوكة. فخاف أهل الشام إذا بايعوا علياً وانساحوا في رعيته أن يظلمهم قتلة عثمان ويعتدوا عليهم.

رابعاً) خاف معاوية أن يضيع دم عثمان. فقد كان يرى أنه على قوة في الشام و أنه لن يفرط في هذه القوة إلا بالانتقام لمقتل عثمان رضي الله عنه. أما إذا بايع قبل الاقتصاص وأصبح فرداً في الرعية لا أميراً فقد لا يعود بإمكانه أن يقتص كما بإمكانه الآن.

خامساً) قام مرة بن كعب في أهل الشام فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ما تكلمت... الحديث فيه: (فمر رجل متقنع في ثوب، فقال رسول الله: ((هذا يومئذ على الهدى))، فقامت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان (صحيح سنن ابن ماجه)... فكان إيراد الحديث في هذا الوقت أشعر معاوية ومن معه بمشروعية ما عزموا عليه من الاقتصاص لعثمان الذي شهد له رسول الله أنه سيكون في أيام الفتن على الهدى.

- فهذا كان رأي معاوية... الاقتصاص من قتلة عثمان الذين اندسوا في جيش علي... الاقتصاص قبل الدخول في طاعة علي ومبايعته رضي الله عنه.

في المقابل رأى أمير المؤمنين علي و من معه تأخير الاقتصاص من قتلة عثمان حتى يوطد مركز الخلافة. فعلي رضي الله عنه لم يكن أقل استنكاراً من معاوية لما فعله الغوغاء قتلة عثمان. وقد أسلفت ما يبين عمق العلاقة بين علي وعثمان رضي الله عنهما. لكن كان لعلي في تأخير الاقتصاص من القتلة مبررات وجيهة جدا منها ما ذكرته في مقدمات حرب الجمل ومنها أيضا:

أولاً) أن الذين حاصروا عثمان وكذلك الذين قتلوه لم يكونوا من قبيلة واحدة بل من قبائل مختلفة. فحتى على فرض التمكن من عقوبتهم فإنه يظن ببعض قبائلهم أن يناصروهم على باطلهم.

ثانياً) أن إثم الخارجين على عثمان كان متفاوتاً. فمنهم من باشر قتل الخليفة بسيفه، ومنهم من أحاط بدار الخليفة وتهدده بالقتل، ومنهم من حرض على الخليفة وافترى عليه فاستعدى عليه الجهال المغرر بهم، ومنهم من كان يقصد توهين سلطان الخلافة والنيل من الإسلام بقتل هذا الخليفة الرمزي، لكن منهم أيضا من غرر به وأقنع بالخروج على عثمان وأن هذا الخروج من إنكار المنكر، وهؤلاء وإن كانوا مذنبين بعدم التثبت من أبناء الفساق، إلا أن جرمهم ليس كجرم الفئات السابقة. وبهذا التفاوت الكبير في الإثم لم يكن هناك عقوبة واحدة يجب إيقاعها على الفئات جميعها. فقبل توطد أركان الخلافة وتقوية شوكة علي والصحابة لا يمكن إدانة كل امرئ بجرمه مع إقامة البينة واستشهاد الشهود وتوضيح ذلك

لعشيرته لئلا تثور ثائرتهم عند إيقاع العقوبة المناسبة... خاصة إذا تذكرنا أن عبد الله بن سبأ وجماعته كانوا لا يزالون حتى اللحظة ينسجون المؤامرات للإيقاع بين المسلمين ولإثارة الناس علي الصحابة... ولنا أن نتصور ماذا كان سيحدث لو أن علياً رضي الله عنه استنفر الناس للاقتصاص قتلة عثمان... سيناصر الخارجون علي عثمان جميعاً قتلة عثمان ضد علي... فيضطر الصحابة لقتالهم... لكن منهم من يرى نفسه مدافعاً عن حق، فإثمه لا يستوجب القتل قبل إقامة الحجّة عليه... ثم ستصل الأنبياء إلى أقرباء هؤلاء الخارجين، ويسعى ابن سبأ وجماعته في تهويل الحدث وافتراء الرسائل لتهيج الناس علي علي كما فعلوا مع عثمان... فيظن أهل الأمصار أن علياً يقتل أبناءهم ظلماً فيأتون لمناصرتهم... ولا قبلَ لعلي وأصحابه بهؤلاء، ولا مصلحةً له في قتالهم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا... وقد يقتلون الخليفة الجديد وينصب مكانه أحد الرعاغ الغوغاء...

ثالثاً) النصوص النبوية الكثيرة التي تؤكد على ضرورة الاستعجال في مبايعة أمير للمؤمنين. وكفانا في هذا إجماع الصحابة على اختيار خليفة لرسول الله قبل دفنه صلى الله عليه وسلم. - من هذا كله نعلم أن رأي علي رضي الله عنه كان الأصوب والأحكم وأن معاوية أخطأ في اجتهاده حين قديم الاقتصاص على البيعة... لكننا مع هذا نسميه اجتهاداً خاطئاً وننزه معاوية عن أن يكون دافعه شخصياً انتهازياً كما يصور أعداء التاريخ الإسلامي.

ومما يثبت ذلك أثر هامٌّ عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً؟ أو أنت مثله؟ قال: (لا. و إنني لأعلم أنه أفضل مني و أحق بالأمر. و لكن أستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً وأنا ابن عمه و وليُّه أطلبُ بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان). فأتوه فكلموه فقال علي: (يدخل في البيعة و يحاكمهم إلي). فامتنع معاوية. (سير أعلام النبلاء (3/140)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (59/132) وابن حجر في الفتح (13/92)، و حسن ابن حجر إسناده).

قال إمام الحرمين الجويني: (إنَّ معاوية و إنَّ قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته و لا يدعيها لنفسه، و إنما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً) (لمع الأدلة في عقائد أهل السنة للجويني ص 115). -وبالفعل، بدأ معاوية بقتال جماعةٍ ممن اشترك في التحريض على غزو المدينة وهم عائدون إلى بلادهم مصر.

وهذا لا شك أشعرَ علياً رضي الله عنه بانشقاق عصا المسلمين وتغلَّت الأمر من يده والإيذان بفتنة بين أهل الشام والخارجين علي عثمان. فخرج لإخضاع معاوية وأهل الشام لسلطان الخلافة ولم يُولِ أحداً من

قتلة عثمان أثناء استعداده للمسير إلى الشام (قاله الإمام الطبري في تاريخه (445/4).

وقد وردت آثار كثيرة تبين ندم علي رضي الله عنه على خروجه لحرب معاوية، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه -أي: من علي- من كراهته والندم عليه ما ظهر) اهـ.

مما يؤكد أن علياً رضي الله عنه ظن المهمة أسهل بكثير مما كانت عليه... فهو كأمير للمؤمنين قد خرج في جيش كبير قضيته عادلة واضحة... سيقاتل بعض الخارجين على الطاعة قتالا سريعا فيلجئهم إلى البيعة بأقل الخسائر... أو لعلهم يخضعون دون قتال... فيعم الأمن في البلاد وينزع فتيل الفتنة المرتقبة بين طائفتين كبيرتين... طائفة المتمردين على عثمان وطائفة أهل الشام. ثم يتفرغ لعلاج قضية قتل عثمان بالطريقة المناسبة... ولو كان علي رضي الله عنه يعلم أن النتائج ستكون مؤلمة بهذا الشكل لَمَّا خرج...

وهذا يورد السؤال: تقدم أن موقف علي من تأخير الاقتصاص من قتلة عثمان وتقديم البيعة للخلافة كان هو الصواب كما اتفق العلماء وكما دل عليه مبايعة عامة الصحابة له. لكن هل كان خروجه لإخضاع أهل الشام هو الفعل الأمثل؟

- أما من حيث الإثم فلا إثم على أي من الفريقين. وقد نص ابن تيمية وابن كثير وابن حجر على أن الطائفتين ما بين مجتهد مخطئ له أجر ومجتهد مصيب له أجران. فكل ينطلق من نصوص ومن ظن أنه ينصر الحق.

- وأما من حيث إصابة الحق والأولى فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (526-525/8): و منهم من يقول كان الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكن علي كان أقرب إلى الحق من معاوية والقتال قتال في الفتنة، ليس بواجب ولا مستحب... وهذا قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء، وهو قول أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو قول عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان ينهى عن بيع السلاح في ذلك القتال، وهو قول أسامة بن زيد و محمد بن مسلمة و ابن عمر و سعد بن أبي وقاص و أكثر من بقي من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار رضي الله عنهم.

- وعليه، فوضوح حق علي في التوجه لإخضاع معاوية للخلافة لم يكن بدرجة وضوح حقه في تقديم البيعة علي القصاص. فنرى أن عامة الصحابة بايعوه لكن لم يخرجوا معه. ولست أورد هذا الكلام لتخطئة أي

من الصحابة، وإنما لكي نفهم موقف عامة الصحابة، والذين لم يشتركوا في معركة صفين،

مع أن الله تعالى قال:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ائْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾

(الحجرات)

فعلينا أن نفهم لماذا لم يقاتل عامة الصحابة مع أي من الفئتين...إنه مما قد يفسر موقف عامة الصحابة:

أولاً) أن الله تعالى إنما أمر بقتال الفئة الباغية وسماها باغية إذا قاتلت ورفضت الصلح، و لم يأمر بقتالها ابتداءً. ولم يكن قد وقع من معاوية بعد قتال.

ثانياً) أن قتال البغاة فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقيين (أحكام القرآن لابن العربي).

ثالثاً) أن القضية اشتبهت وتحير الصحابة فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لَمَا جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه (شرح النووي على مسلم).

عامة الصحابة لم يقاتلوا:

من هنا تظهر مفاجأة كالتي ظهرت لنا في موقعة الجمل، وهي أن عامة الصحابة لم يشتركوا في صفين.

- فقد حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن محمد بن سيرين أنه قال:

(هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين).

وإسناد هذه الرواية قال عنه ابن تيمية رحمه الله: (من أصح الأسانيد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أروع الناس، ومراسيلته من أصح المراسيل).

- و قال ابن تيمية: (وأما الصحابة فجمهورهم، وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة) (منهاج السنة).

- وروى ابن سعد في الطبقات (3/143-144) و أبو نعيم في الحلية (94/1) عن ابن سيرين قال : (لما قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله

عنه ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى و أنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عنان و لسان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت و أنا أعرف الجهاد) (قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني و رجاله رجال الصحيح).

- فهذا سبب امتناع الصحابة... أنهم لم يكونوا يرون الصواب في القتال.  
- لكن نعيد: قولنا أن الأصح كان عدم القتال لا يعني أن علياً أو معاوية رضي الله عنهما قد أئتما... فضلا عن أن يكون الإيمان منتفيا عن أي منهما... فالله تعالى قال:

﴿ وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ الحجرات: ٩

فوقوع القتال بينهما لا يعني أبداً أن أحدهما مؤمن والآخر كافر... ألم تر أن الله تعالى قال ((من المؤمنين))؟

إذن... وقع القتال وكثر القتل في الجانبين... وقُتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ليكون قتلُه دلالة واضحة أن الحق في جانب علي رضي الله عنه. فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية))... وقد قتلته فئة معاوية، فهي إذن الفئة الباغية، وإن كانت في نظر نفسها أصابت. ولا مانع من أن تكون باغية بوضوح في رفضها مبايعة علي لكن لا يكون بغيتها بنفس الوضوح في الاقتتال مع جيش علي فيكون الصواب لذلك في عدم قتالها.

وعلى كل حال فقد بين قتل عمار أن فئة معاوية ليست صاحبة الحق، وهو ما أدركه عمرو بن العاص رضي الله عنه. فقد روى عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح أنه عندما قُتل عمار قام عمرو بن العاص فزعاً يرجع - أي: يقول إنا لله و إنا إليه راجعون حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قُتل عمار. فقال معاوية: قد قُتل عمار فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((تقتله الفئة الباغية)). فقال له معاوية: (دحضت -أي زللت- في بولك. أونحن قتلناه؟! إنما قتلته علي و أصحابه: جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا).

وهذا التأويل -بلا شك- غير مقبول من معاوية رضي الله عنه. وقد رد علي رضي الله عنه بأن محمداً صلى الله عليه وسلم إذا قُتل حمزة حين أخرجه.

قال ابن حجر في التذكرة: (لكنهم -أي: جيش معاوية- معذورون للتأويل الذي ظهر لهم) اه...فهو على قناعة قوية بأن الحق معه، فتأول الحديث هذا التأويل الغريب ليتناسب مع قناعته.

ولا أدري إن كان هذا التأويل اجتهادا كما قال ابن حجر أو ذنبا من معاوية رضي الله عنه...ولست أدعي العصمة له، وأقول فيه ما قلته في الزبير رضي الله عنه في موقعة الجمل... لكن ما يهمنا في هذا المقام إثبات عدالة معاوية وسائر الصحابة وتجلية الصورة اللائقة بهم. وإلا فالصحابي يقع منه خطأ في التقدير، بل وذنوب...إلا أن ذنبه مغفور.

ألم ترَ إلى حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، الذي أخبر أهل مكة بقدوم النبي إليهم فاتحا، ومع ذلك قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم)). وفعل حاطب بلا شك ذنب كبير أكبر من كل ما يمكن أن يكون معاوية قد ارتكبه في حربه مع علي رضي الله عنهما... لكن الصحبة لها فضلا. ألم تر أن الله تعالى غفر للصحابة ذنوبهم فضلا منه ونعمة في

مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ

الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ !!

!!

- ألم تر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إنما أنا بشر فأبي المسلمين لعنته أو سببته فأجعله له زكاة وأجرا))... فحتى اللعنة أو السبة شاء الله أن يبدلها إلى رحمة للصحابي. ويهمني جدا هنا أن أذكر أخلاقيات الحرب التي التزمها الصحابة لنعلم أنهم راقون نبلاء حتى في خلافهم.

### أخلاقيات الحرب:

أولا) لم تكن لدى أي من الطرفين رغبة في القتال: ففي ذي الحجة حصل تقاؤل خفيف. فلما انتهى شهر ذي الحجة أرسل أمير المؤمنين علي إلى معاوية و قال له: هل لك إلى أن نتهادن شهراً و أن لا يحدث فيه قتال؟ فلم يكدهم يعرض عليه هذا الأمر حتى وافق معاوية. و فعلاً ما كاد يدخل شهر المحرم حتى توقف القتال تماماً و الجيشان في أماكنهما يتزاورون و يتسامرون في الليل، كما ذكر ابن الجوزي في المنتظم (117/5-118).

وهذا يؤيد أن عليا رضي الله عنه لم يكن يتوقع أن خروجه سيبتعه حرب ضروس تفتك بالكثيرين. فلعله رجا أن يخضع بمهابة جيشه أهل الشام دون قتال.

وقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري أن معاوية قال في خلافة الحسن بن علي: (إني والله لا أقاتل حتى لا أجد من القتال بداً).

ثانيا) كلا الطرفين شعاره التكبير والتهليل:

فقد روى ابن سعد في الطبقات عن أبي العالية الرفاعي أنه قال: لما كان زمن علي و معاوية، و إني لَشَابُّ القتال أحب إلي من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم. فإذا صفان لا يرى طرفاهما، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء، و إذا هَلَل هؤلاء هَلَل هؤلاء. فراجعت نفسي فقلت: أي الفريقين أنزله كافرًا، و أي الفريقين أنزله مؤمنًا؟ فما أمسيت حتى رجعت و تركتهم.

ثالثا) الطرفان التزما أحكام قتال الفئة الباغية:  
روى الحاكم بسند صحيح عن أبي أمامة قال: شهدتُ صفين. فكانوا لا يجهزون على جريح، و لا يطلبون مؤلّيًا و لا يسلبون قتيلاً.  
فللمسلم أن يجهز على الجريح الكافر و أن يلاحق المولّي (الفارّ) الكافر، و أن يأخذ سلب (متاع) القتل الكافر... لكن لا يجوز له أن يفعل ذلك في قتال الفئة التي تبغي من المؤمنين. فالتزام جيشي علي و معاوية -بأمر من قادتهم- بهذا دلالة على أن كل طرف كان سليم المقصد لا يتعدى الحد في نصره ما يراه حقا. ولو ساءت النوايا لرأينا تعديا للحدود.  
-أتي عليُّ بأسير يوم صفين. فقال الأسير: لا تقتلني صبرًا (قَتْلٌ بنوع من التعذيب). فقال علي رضي الله عنه: (لا أقتلك صبرًا، إني أخاف الله رب العالمين). فخلّى سبيله ثم قال: (أفيك خير تباع؟) (الأم للشافعي)... وهذا نبل من علي رضي الله عنه.  
وإنه لمن حكمة الله تعالى أن يجعل في هذه الفتنة دروسا فقهية للمسلمين. قال أبو حنيفة: (لولا ما سار علي فيهم، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين)... يعني لَمَّا علمنا كيف نعمل في قتال البغاة.

رابعا) لم يَفْجُر الصحابة في الخصومة:  
قال رجل يوم صفين: كَفَرَ أهل الشام. فنهاء عمار بن ياسر عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم. فإلها واحد، ونبينا واحد، و قبلتنا واحدة (مصنف ابن أبي شيبة-الإسناد حسن لغيره)  
- وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي و معاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، و بصير الأمر إلي وإلى معاوية (رواه ابن أبي شيبة بسند حسن)... وهذا يدل على إنصاف علي و إقراره بأن الذين خرجوا مع معاوية ظنوا الحق في جانبهم. ثم لاحظ قول الراوي (لما كان الصلح)، مما يشعر بأن التحكيم نتج عنه صلح، لا كما تدعي الروايات الموضوعة من أن عمرو بن العاص و أبا موسى تشاتما و اختلفا.

خامسا) لم يُجبروا أحدا على الخروج:  
فأبو موسى مثلاً من ولاة علي و أخذ له البيعة في الكوفة، لكنه رفض استنفار الناس للخروج مع علي فلم يجبره علي رضي الله عنه... فهذا ما أداه إليه اجتهاده.

سادسا) لم يتولوا الكافرين:

قال ابن كثير: (وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحرهم. فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه. فكتب معاوية إليه: (والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعيين لاصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك مع جميع بلادك، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت). فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة) (البداية والنهاية).

سابعا) عظم الطرفان حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

أ) يوم قُتل عمار بن ياسر صلى الله عليه الطرفان (أنساب الأشراف (56/6) بسند حسن إلى عتبة)... وذلك لأن النبي نص على أن عمارا تقتله الفئة الباغية.

ب) ومعاوية عظم حديث النبي الوارد في علي. فقد روى الإمام مسلم أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ (يقصد عليا رضي الله عنه) فقال سعد: أما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم:

- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له -خلفه في بعض مغازيه- فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي))

- وسمعتة يقول يوم خيبر: ((لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) فتناولها لها فقال: ((ادعوا لي عليا)) فأتي به أرمداً فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه.

- ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم [ 3 / آل عمران / 61 ] ادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسناً وحسينا فقال: ((اللهم هؤلاء أهلي)).

عند النسائي في (الخصائص) زيادة هامة بسند صحيح: فوالله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة.

فمطالبة معاوية سعداً بسب علي رضي الله عنه زلة منه ولا شك. لكن انظر إلى أدبه حين سمع (قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم)... فما كابر، بل تأدب مع حديث النبي، وما ذكر علياً بسوء.

كثُرَ القتل في الجيشين ورجحت الكفة لصالح جيش علي. وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يطالب علياً بالتحكيم...

### التحكيم:

وقصة التحكيم نُسجت حولها روايات مكذوبة منتشرة جدا بين المسلمين للأسف.

أما ما ثبت من قصة التحكيم، فهو ما رواه الإمام أحمد عن أبي وائل قال: (كنا بصفين. فلما استحرَّ القتل بأهل الشام اعتصموا بتلٍّ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسِلْ إلى عليٍّ بمصحفٍ وادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك. فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا

نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ (آل عمران).

فقال عليُّ:

نعم. أنا أولى بذلك. بيننا وبينكم كتاب الله. فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء، وسيوفهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل إلا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية -يعني الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين- ولو نرى قتالا لقاتلنا (قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

-قال ابن سعد في الطبقات: فكَرِهَ الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكّموا الحكمين. فحكّم عليُّ أبا موسى، وحكّم معاوية عمرو بن العاص.

هذا المقدار هو ما ثبت من قصة التحكيم. وفيه دلالة على أن عليا ما أراد إلا خيرا، فقد كان بإمكانه أن يستغل بوادر الانتصار ويستمر في حرب معاوية... لكنه رضي الله عنه كان حريصا على حقن دماء المسلمين.

-لكن كتب التاريخ تأتي بتفاصيل لا تصح لقصة التحكيم تصف عمرو بن العاص بأنه مخادع وماكر، وأبا موسى بالغفلة. وإنما هذا من روايات مكذوبة من طريق أبي مخنف الذي سيأتي ذكره، حيث ادعى أن عمرا خدع أبا موسى وقال: أنزع عليا من الحكم كما أنزع حمالة سيفي وأثبت معاوية كما أثبت حمالة سيفي... والبعض يقول خاتمي، والبعض يقول عمامتني... وكل ذلك كذب.

قال أبو بكر ابن العربي مُبِيناً كَذِبَ هذه القِصَّة: (هذا كُتِبَ كَذِبٌ صُراح ما جرى منه حرفٌ قَطُّ ، وإنما هو شيءٌ أخبر عنه المبتدعةُ ووضعتُه التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع) (العواصم من القواصم).

وحتى لا تنطلي علينا مثل هذه الأكاذيب، تعالوا نَسْتَعِطِرِ باقة من سيرة كل من طرفي التحكيم: الصحابيِّين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، لنعلِّمكم نحن في غفلة عن تاريخ الصحابة، ولنعلِّمكم أن أعداء الصحابة قد غبنونا كثيرا.

### أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

مَثَلُ جانب علي مع أنه امتنع من حضِّ الناس على الخروج للقتال. أبو موسى الأشعري مؤمن مخلص:

- عن بريدة قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي عند باب المسجد قائم، وإذا رجلٌ يصلي، فقال لي (رسول الله): ((يا بريدة، أتراه يرائي؟)) قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: ((بل هو مؤمن منيب. لقد أعطيتُ مزميراً من مزامير آل داود)). فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته (مسلم).

- وروى الإمام مسلم أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً))... وعبد الله بن قيس هو اسم أبي موسى الأشعري.

- قد يقول قائل: نعم كان رجلاً طيباً لكنه استغفل... أبدا!

فأبو موسى الأشعري قائد حربي:

قال ابن كثير في أبي موسى: وكان قائداً للجيوش في فتح قُم وقاثان وموقعة تستر (البداية والنهاية).

أبو موسى الأشعري حاكم عادل مُوفِّق:

قال الذهبي: كان -يعني أبا موسى- والي البصرة في عهد عمر. قال فيه الحسن البصري: ما قَدِمها ركب خير لأهلها من أبي موسى (سير أعلام النبلاء).

و وُلِّيَ الكوفة في عهد عثمان ثم في عهد علي.

أبو موسى الأشعري قَطِن:

عن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يُعَلِّم الناس القرآن. فقال عمر: أما إنه كَيْس (الطبقات-رجالهم ثقات).

أبو موسى الأشعري قاضٍ حكيم:

قال الشعبي: فُضِّاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى (سير أعلام النبلاء).

من حِكْمِهِ:

عن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين (الطبقات لابن سعد) فهذه قطرة من بحر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه... فليس كما تصفه الرواية الدسيسة.

قال الدكتور محمد أمحزون:

(إن حياة أبي موسى، رضي الله عنه، منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة. ولا شك أن هذه المهام صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفتنة والحدق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم. فهل يتصور أن يثق رسول الله ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي تروى قصة التحكيم؟! (تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة) .

### عمرو بن العاص رضي الله عنه

ما يعرفه أكثر المسلمين عن عمرو بن العاص هو الخداع في قصة التحكيم المفتراة، والرواية التي لا تصح -لأن إسنادهَا معضَل- من أن ابنه ضرب القبطي فقال عمر له ولابنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتْهم أمهاتهم أحرارا.

عمرو بن العاص اتفق على أنه أسلم قبل الفتح، وإن كانوا اختلفوا في تعيين الوقت... وأما قصة إسلامه فرواها أحمد وحسنها الألباني وشعيب الأرنؤوط في رواية طويلة تفيد بأن عمرا قبل إسلامه أتى النجاشي بهدايا ليطلب منه أن يسلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله. فقال (النجاشي) لعمرو: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، لقتله؟ قال عمرو: (أيها الملك أذلك هو؟! قال: ويحك يا عمرو أطعني وأتبعه، فإنه والله لعلَى الحق، وليظْهَرَنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. قال عمرو: (أقتبايعني له على الإسلام؟) قال: نعم. قال عمرو: فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم، فلقيت

خالد بن الوليد - وذلك قبيل الفتح- وهو مقبل من مكة. فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال خالد: والله لقد استقام المنسم (أي: تبين الطريق)، وإن الرجل لنبي. أذهبُ والله فأسلم. فحتى متى؟ قال عمرو: (والله ما جئت إلا لأسلم). فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر. فقال رسول الله: ((يا عمرو بايع. فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها)). قال عمرو: فبايعته ثم انصرفت (رواه أحمد وحسنه الألباني وشعيب).

### عمرو بن العاص موضع ثقة النبي:

- أمره رسول الله على سرية فيها أبو بكر وعمر في غزوة ذات السلاسل (فتح الباري 7/674) وهو لم يمض علي إسلامه حينئذ أربعة أشهر.  
- بعثه رسول الله مفرداً لدعوة سيدي قومهما ابني الجلندي (جيفر وعباد) إلى الإسلام (الإصابة لابن حجر بإسناد صحيح إلى الزهري)... فلو لم يكن عمرو موثقاً لما بعثه رسول الله مفرداً يبلغ الدين لابني الجلندي.  
عمرو بن العاص مخلص ما يريد إلا الله ورسوله:

بعث رسول الله إلى عمرو فقال: ((خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني)). قال عمرو: فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في النظر ثم طأطأ فقال: ((إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة)). فقال عمرو: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله: ((يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح)) (رواه أحمد وصححه الألباني وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم).  
- وعن علقمة بن رمثة البلوي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم نعس رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ثم استيقظ فقال: ((رحم الله عمرًا)). فتذاكرنا من اسمه عمرو. ثم نعس ثانية فاستيقظ فقال: ((رحم الله عمرًا)) ثم نعس ثالثة فاستيقظ فقال: ((يرحم الله عمرًا)). قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: ((عمرو بن العاص)) قلنا: وما باله؟ قال: ((ذكرته. إني كنت إذا نذبت الناس للصدقة جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله. وصدق عمرو. إن لعمرو عند الله لخيرًا كثيرًا)). قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا. قال فيه رسول الله ما قال. فلم أفارقه (الطبقات الكبرى، المستدرک - دون قوله: عند الله- قال الذهبي في التلخيص: صحيح).

## عمرو بن العاص مؤمن صالح:

قال رسول الله: ((ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام)) (رواه أحمد وصححه الألباني وحسنه شعيب).  
وقال رسول الله: ((إن عمرو بن العاص من صالحى قريش)) (رواه الترمذي وصححه الألباني).

## عمرو بن العاص مجاهد:

في معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة.  
قال الذهبي في عمرو: فَتَحَ غَزَةَ وَالِدٍ وَبَنِي وَعَمَاسٍ وَبَيْتَ جَبْرِينَ وَيَافَا وَرَفْحَ وَبَيْتَ الْمَقْدَسِ وَفَتَحَ مِشَاهِيرَ بِلَادِ مِصْرٍ وَبِلَادًا إِفْرِيْقِيَّةً أُخْرَى مِثْلَ بَرْقَةِ وَزَوَيْلَةَ وَطَرَابِلِسَ (سير أعلام النبلاء)... فتصور كم له رضي الله عنه من الأجر بفتح بلاد وإدخالها في حظيرة الإسلام! كم له أجر بصلاة من صلى وطاعات من أطاع الله فيها! وهل استطاع كل منتقديه والطاعنين عليه أن يفتحوا فتحة في الجدار الذي سجت فيه غزة؟! فإن كان الجواب لا فليقفوا بإجلال إذا ذكر اسم عمرو بن العاص فاتح غزة.  
هذه نبذة عن عمرو بن العاص. وفي فضائله أحاديث أخرى لكنني اكتفيت بما أوردت. فلا يليق أن يتصوره مسلم على الصورة التي رسمتها قصة أبي مخنف المفتراة. فليُنظر كل واحد منا في نفسه...هل يحمل للصحابة المذكورين من الإجلال والتوقير ما يليق بمقاماتهم الكريمة؟

## ماذا حصل على إثر التحكيم:

- تَوَقَّفتُ صَفِينَ مَعَ أَنَّ اجْتِمَاعَ الْحَكَمِيِّينَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجْمَعَ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.  
- لكن مع ذلك لم يدع معاوية رضي الله عنه أولويته على علي في الإمامة العامة، بل رجع إلى الشام دون مبايعة علي لإصراره على التعجيل بالافتصاص من قتل عثمان، وبقي عموم المسلمين يقرون لعلي رضي الله عنه بإمارة المؤمنين. فعن سعيد بن عبد العزيز التنوخي الذي قيل فيه: أعلم الناس بأمر الشام كما في تهذيب التهذيب، أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير. فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين (أخرجه ابن عساكر بسند رجاله ثقات).

ولما قتل الخوارج المارقون أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه ببيع بعده للحسن رضي الله عنه... فقام هذا الكريم ابن الكريم حفيد سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم بعمل عظيم جمع به كلمة المسلمين وأنهى الخلاف وقوى شوكة الأمة... فقد ترك الخلافة لمعاوية طوعا وبإيعه.

وهذا مصداق ما أخبر به الناطق بالوحي صلى الله عليه وسلم. فعن أبي بكرٍ قال: بينما النبي يخطب جاء الحسن فقال النبي: ((إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) (البخاري)

- قال أبو بكر بن الطيب الباقلائي: فأثبتَ العظمةَ لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام (الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به)

قال ابن حجر في فتح الباري واصفاً تركُ الحسنِ الخلافةَ لمعاوية: و (فيه) منقبةٌ للحسن بن علي. فإنه ترك الملكَ لا لِقِلَّة ولا لِذِلَّة ولا لعلَّة، بل لرغبته فيما عند الله لِمَا رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصصلحة الأمة. وسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين وانتهاء الفتنة.

- وهنا ملاحظة هامة، فلولا أن معاوية كان عدلاً صالحاً للخلافة لما حَسُن من الحسن أن يترك له الخلافة وبياعه. فبالخليفة يُقام الدين وتُحفظ دماء العباد وأعراضهم وأموالهم ويحارب أعداؤهم. فلا يمكن للحسن أن يُسلم رقاب المسلمين إلى رجل ليس عنده من الأمانة والصلاح ما يجعله أهلاً لهذا المكان الخطير، خاصة وأن الحسن حينئذٍ كان في قوة. فقد روى البخاري أثراً فيه أن جيش الحسن كان فيه كتائب كأمثال الجبال.

فهذه قصة صفين... نسأل الله تعالى أن يرحم كل مؤمن قُتل فيها وأن يتجاوز عن سيئاته ... فهو أرحم الراحمين.

- جاء رجل إلى الإمام أبي زرعة الرازي فقال: يا أبا زرعة، أنا أبغض معاوية. قال: لم؟ قال: لأنه قاتل علي بن أبي طالب. فقال أبو زرعة: (إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم. فأيش دخولك أنت بينهما - رضي الله عنهم أجمعين) (رواه ابن عساكر في التاريخ 141/59)

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى	بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتلهم منهم وقتلهم لهم	وكلاهما في الحشر مرجومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما	تحوي صدورهم من الأضغان
حب الصحابة والقراة سنة	ألقى بها ربي إذا أحياني

وبقي معاوية في الخلافة قريباً من عشرين عاماً ثم استخلف ابنه يزيداً. وليس لدي من العلم الآن ما يكفي لاختيار هل كان هذا من معاوية اجتهاداً مأجوراً أم ذنباً مغفوراً. لكن أحب التأكيد على أن الكذابين قد نسجوا حول هذه الخطوة من خطوات معاوية كثيراً من الأكاذيب لتبشيعها.

قال ابن خلدون رحمه الله في تاريخه:

(والذي دعا معاويةَ لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذٍ من بني أمية، إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش (يعني الفئة القوية) وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم. فأثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها، و عدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا، فعدالته و صحبته مانعة من سوى ذلك. وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه. فليسوا ممن يأخذهم في الحق هواده، و ليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق، فإنهم كلهم أجل من ذلك و عدالتهم مانعة منه) (تاريخ ابن خلدون).

وقال: (فلم يكن ليعهد إليه و هو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا الله لمعاوية من ذلك) (تاريخ ابن خلدون).

والحقيقة أن النظر فيما أثير حول هذا الاستخلاف يحتاج مبحثاً خاصاً، خاصة وأن شخصية يزيد قد اختلف فيها اختلافاً كثيراً. قال ابن تيمية: (فإن يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء، ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح. وكان من شبان المسلمين. ولا كان كافراً ولا زنديقاً. وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم. وكان فيه شجاعة وكرم، ولم يكن مظهرًا للفواحش كما يحكي عنه خصومه ... ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يجوز لعن فاعله، وطائفة أخرى ترى محبته لأنه مسلم تولى على عهد الصحابة وبايعه الصحابة، ويقولون لم يصح عنه ما نُقل عنه وكانت له محاسن أو كان مجتهداً فيما فعله.

والصواب هو ما عليه الأئمة من أنه لا يخص بمحبة ولا يلعن. ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم، لا سيما إذا أتى بحسنات عظيمة. وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي قال: ((أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له)) وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية، وكان معه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه) (مجموع الفتاوى لابن تيمية)

ولأبي حامد الغزالي كلام شبيهه (انظر قيد الشريد من أخبار يزيد ص 57-59).

و لست معنيا هنا بالدفاع عن شخص يزيد، فهو ليس صحابيا... لكن يهمني التأكيد على أن معاوية رضي الله عنه لم يكن ليُولي يزيدا لو كان قد اطلع منه في حياته على الفسق والفجور الذي توردته الروايات. فدفاعي إنما هو عن معاوية الصحابي... أما يزيد ففسقه أو صلاحه لا يضر الدين شيئا.

وبعد هذا العرض الموجز أحب أن أنبه على بعض القصص المكذوبة التي امتلأت بها كتب التاريخ من طريق رواة غالبيتهم من الروافض الذين يحملون الضغينة على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مع تبيان ما قاله الأئمة في هؤلاء الرواة وذكر بعض الكتب الممتلئة بهذه الروايات الموضوعة.

### أولا: بعض القصص المكذوبة:

(فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار رضي الله عنهم، في غفلة من أهل السنة، الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصاص وأصبح كثير منها من المسلمات، حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف) (من كتاب: قصص لا تثبت).

وصدق، فأكثر الروايات فيما يتعلق بالفتنة في تاريخ الطبري هي من طريق وضاعين كذابين. وهي كثيرة جدا منها على سبيل المثال:

(1) ما ذكره بعض المؤرخين من روايات بأن علياً أرسل بشير بن عمرو و سعيد بن قيس و شيب بن ربعي و عدي بن حاتم و غيرهم ليكلموا معاوية و يطلبوا منه الرضوخ لعلي، و ما جرى بينهم من مناقشات و سباب و لعان و شتم لمعاوية و اتهام لبعض الصحابة في التورط في دم عثمان... هذا كله كذب مُلقَق بطله أبو مخنف الكذاب.

(2) محاولة الزبير وطلحة إقناع أم عائشة أن الموضوع الذي مرّت به ليس ماء الحوَاب وذلك بأيمان كاذبة - حاشاهما- فهذا إفك اختلقه المسعودي الرافضي.

والمشكلة أن الناس يتناقلونها لشغفهم بمعرفة تفاصيل القصة... وأكثر هذه التفاصيل من طريق المتهمين. ولذا فينبغي الاقتصار على ما صح في الكتب المحققة وترك هذا الغناء الكثير.

ولكي تعرف حال رواة هذه الروايات، سأتي لك بما قاله الأئمة في خمسة من هؤلاء الرواة الذين امتلأت الكتب برواياتهم.

## ثانياً: التالفون:

(1) أبو مخنف، لوط بن يحيى الرافضي الكذاب: قال عنه ابن معين : ليس بشيء. وقال ابن عدي في الكامل (2110/6: ) (فإن لوط بن يحيى معروف بكنيته واسمه، حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ، ولا يبعد منه أن يتناولهم. وهو شيعي محترق). وقال الذهبي ( 419/3): ( إخباري تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره).  
قال أبو عبد الله الذهبي في محاضرة له عن الأحداث التي تلت حرب الجمل:

(إذا نظرنا إلى روايات الإمام الطبري في هذا الموضوع - أي موقعة صفين - نجدها تبلغ أربعاً و ستين رواية كلها من طريق أبي مخنف، و لم يخرج من غير طريقه سوى سبع روايات فقط ذكّرت أحداثاً جانبية، و هي بمجموعها لا تعدل رواية واحدة من روايات أبي مخنف المطولة).  
وقد ألف كتاب اسمه: (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري) للتنبيه عليها.

(2) سيف بن عمر التميمي: قال عنه ابن معين: فليس خير منه (الكامل لابن عدي 1271/2). وقال أبو داود: ليس بشيء (تهذيب الكمال 326/12). وقال ابن حبان في كتابه (المجروحين 340/1): (اتهم بالزندقة. يروي الموضوعات عن الإثبات) وذكره الإمام الدار قطني في الضعفاء والمتروكين (ص 104)  
وسيف أيضاً له روايات كثيرة جدا في تاريخ الطبري.

(3) الواقدي: قال عنه يحيى بن معين في التاريخ (532/2): ليس بشيء. وقال علي بن المديني في (تهذيب الكمال 187/26): (لا أرضاه في الحديث ولا في الأنساب ولا في شيء). وقد تركه الإمام البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والحاكم وذكره ابن حبان في المجروحين ( 290/2).

و الواقدي هذا روى عنه الطبري في تاريخه في أكثر من 260 مرة (بحث أجريته على برنامج المكتبة الشاملة).

(4) نصر بن مزاحم الكوفي: قال عنه الذهبي في الميزان: (نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد تركوه). وقال أبو خيثمة في (ميزان الاعتدال): (كان كذاباً، و قال العجلي: (كان رافضياً غالباً.. ليس بثقة ولا مأمون) (لسان الميزان).

(5) الكلبي. هو هشام بن محمد الكلبي: اتفقوا على غلوه في التشيع. قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحداً يحدث عنه. وقال الدار قطني: متروك. فانظر يا رعاك الله عمن تأخذ دينك!... فإن سير الصحابة من الدين لأنهم نقلوا إلينا الكتاب والسنة.

ثالثاً: بعض الكتب التي زوّرت تاريخ الصحابة رضي الله عنهم والكتب التي تأثرت بها:

فأما المزورون فقد قصدوا تشويه صورة الصحابة للطعن في جيلهم رضي الله عنهم ولهدم أصول أهل السنة. وأما المتأثرون فلم يكونوا أهل تحقيق فنقلوا هذه الروايات الطاعنة مقيّرين لها مع أن أصولهم سنينة سليمة في اعتقاد عدالة الصحابة عموماً...ومن هؤلاء المتأثرين من وجد لنفسه مخرجاً للتوفيق بين ما يعتقد من عدالة الصحابة عموماً وعدم عدالة بعضهم بأن ينفي الصحة مثلاً عن هذا البعض ويعتبرهم منافقين أو أنهم لم يستوفوا شروط اعتبار الرجل صحابياً... وهذا الصنف من الكتاب وإن كان مسيئاً في هذا الجانب إلا أنه لا يجوز تسويته بالصنف الأول الخبيث الوضاع المفترى على أصحاب النبي ليطعن في الدين الذي نقلوه إلينا. ومن أشهر كتب المزورين:

### 1- نهج البلاغة:

فهذا الكتاب مطعون في سنده ومنتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين علي بثلاثة قرون ونصف قرن بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين حتى لو أسند الروايات، فما بالك وهو لم يذكر سنداً؟! وقد قرأت منه فوجدت فيه طعناً خبيثاً على أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وعثمان وأبي موسى ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين. فإنك تذهب إلى الفهرس مثلاً فترى عنواناً: (من كلام له (أي لعلي) خاطب به أهل البصرة وفي وصف السيدة عائشة... ص182)، فترجع إلي الصفحة المذكورة فترى في نص الخطبة المفترى: (وأما فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إلي لم تفعل) فيصور أم المؤمنين علي أنها إنما خرجت مع طلحة والزبير لضغائن قديمة بينها وبين علي! وهي الصورة المكذوبة التي يحاول الروافض رسمها في الأذهان... وترى أمثال ذلك في طلحة والزبير وبقية الصحابة المذكورين. ففي النص لا يصرح بأسمائهم لئلا يثقل وقعه على القارئ فيستهول ما يقرأ في حق الصحابة، وإنما يذكر الأسماء في الفهرس ليدع للقارئ الربط بين الاسم وبين من أشير إليه إشارة في النص! وهي طريقة خبيثة!

ولو قرأت الخطبة الشقشقية لوجدت فيها طعنا على سبعة من العشرة المبشرين بالجنة! وهي طريقة الرافضة في الطعن على عامة الصحابة بدعوى حب علي وآل البيت.

- قال الذهبي: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. ففيه السب الصراح والخط على السيدين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل (ميزان الاعتدال).  
- وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف (منهاج السنة).

- وقال ابن حجر: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي، وأكثره باطل (لسان الميزان).

وأورد هنا ما ذكره د. علي الصلابي من ملاحظات العلماء على كتاب نهج البلاغة فقادهم إلى نفي نسبته إلى علي رضي الله عنه ليكون هذا مثالا يستفيد منه القارئ منهجية النقد عند قراءة غيره من الكتب المدسوسة:

أولا: خلوه من الأسانيد، فما فيه حدثنا فلان عن فلان، وإنما أكثره (ومن كلام له عليه السلام) أو (من خطبة له عليه السلام).

ثانيا: كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين. فخطب الرسول صلى الله عليه وسلم لم تصل إلينا كاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام، فكيف يُظن أن المئات من خطب ومراسلات علي رضي الله عنه تحفظ وبهذا الطول لكثير منها!

ثالثا: رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، بينما نهج البلاغة يدعيها له.

رابعا: اشتماله على خطب تُظهر عليا على أنه شديد الحرص على الخلافة كما في الخطبة المعروفة بـ(الشقشقية)، وهو خلاف ما صح عنه من زهد في الدنيا.

خامسا: شيوع السجع فيه، وهو خلاف ما عُرف عن الصحابة من البعد عن التكلف.

سادسا: الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي شاعت في العصر العباسي، كالوصف المفصل للطاووس والخفاش والنحل والنمل وغيرها.

سابعا: الصيغ الفلسفية الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين وليس بكلام الصحابة.

ولذا فإنني آملُ من المدرسين وأساتذة الجامعات المحبين للصحابة ألا يحيلوا طلابهم إلى هذا الكتاب للاستفادة من أدبياته، ففيه إغارة للقلوب بالباطل على الصحابة رضي الله عنهم وفي غيره غنية.

2- كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني:

- قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس (تاريخ بغداد).

- قال ابن الجوزي: ومثله لا يوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه. ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر (المنتظم).

3- العقد الفريد

4- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة:

ولتلحظ غرض مؤلفي هذه الكتب فإن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمسا وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة. فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسود الصحائف بتاريخ زائف، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة.

5- تاريخ اليعقوبي.

6- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي:

قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً (لسان الميزان). كذلك ينبغي الحذر من كتاب البيان والتبيين للجاحظ و كتب طه حسين ككتاب الفتنة الكبرى وكتاب علي وبنوه وكذلك عبقریات العقاد الذي دخل في الأنفاق المظلمة بسبب إصراره على البعد عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركाम الهائل من الروايات التاريخية. وقد نبه د. علي الصلابي على كتب أخرى.

- ومن الكتب المتأثرة بالروايات الموضوعية كتاب العدالة الاجتماعية. ففيه كلام لا يليق بعثمان ومعاوية رضي الله عنهما، حتي في الطبقات التي عدلها الكاتب رحمه الله. ويشفع له إن شاء الله أن أصل اعتقاده في الصحابة سليم طيب، كما يظهر مثلا من فصل (جيل قرآني فريد) من كتاب (معالم في الطريق). والإنصاف يقتضي أن نقر لكاتبه بالفضل في مؤلفات أخرى وبأن له كلمات عليها نور، وأن ندعو الله تعالى أن يتقبل ثباته على الحق وقتلته التي نحسبها في سبيله، مع نصح إخواننا بالإعراض عن هذا الكتاب بالذات.

- يبقى أن نشير إلى أن هناك كتباً أوردت بعض القصص الموضوعية كقصة التحكيم، لكنك تجد الكتاب بالجملة نافعا وصوابه أكثر من خطئه. ولعل من هذه الكتب كتاب (رجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم) لخالد محمد خالد... فهو وإن كان قد أورد قصة التحكيم لكنه تكلم عن الصحابة بإجلال وأدب واعتراف لهم بالفضل.

وأهم تنبيه في هذا المقام هو ألا تقرأ يا أخي كتاباً عن الصحابة إلا إذا رأيت في حاشيته تخريجا للروايات وتحقيقاً لصحتها من ضعفها من كتب أهل السنة. فكثير منا يخرج من المسجد فيرى كتباً للبيع مفروشة على الأرض، أو يقصد مكتبة فيلفت نظره عنوان كتاب فيتناوله ويقرأ ما فيه دون تحقق من منهج الكاتب وطريقة توثيق الكتاب. وهذا مما لا ينبغي مع موضوع خطر كموضوع سيرة الصحابة، فهم نعمة الدين. التحذير من ذكر الصحابة بسوء

كل الصحابة عندي قدوة علم  
إن كنت تعلم أنني لا أحبهم  
فهل عليّ بهذا القول من عار  
إلا لوجهك أعتقني من النار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) (قال الألباني في السلسلة الصحيحة: صحيح بشواهده).

- قال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة: (ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل. فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقنتلون. وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم) (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة).

وقال الإمام الطحاوي في عقيدته: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل. ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل) (العقيدة الطحاوية)

- بعض الناس تسول له نفوسهم أن يملؤوا فراغ مجالسهم بانتقاد بعض الصحابة وإصدار الأحكام عليهم. ولا والله ما قدم هؤلاء عشر معشار ما قدمه أحد هؤلاء الصحابة لدين الله.

- قال الإمام محمد بن صبيح بن السماك: (علمت أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى عليه السلام، وأن النصارى لا يسبون أصحاب عيسى عليه السلام. فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم؟ وقد علمتُ من أين أتيت... لم يشغلك ذنبك. أما لو شغلك ذنبك لخفتَ ربك. لقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين. فكيف لم يشغلك عن المحسنين؟! أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين ولرجوت لهم أرحم الراحمين. ولكنك من المسيئين، فمن ثم عبت الشهداء والصالحين. أيها العائب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لو نمت ليلك وأفطرت نهارك لكان خيرا لك من قيام ليلك وصوم نهارك مع سوء قولك في أصحاب محمد. فويحك! لا قيام ليل ولا صوم نهار وأنت تتناول الأخبار! فأبشر بما ليس فيه البشرى إن لم تتب) (رواه المعافى الجريفي في كتابه الجليس الصالح) .

وقال الحافظ ابن عساكر : (واعلم يا أخي، وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة).

وَصَدَقَ! فإنك ترى الرجل من أهل الطاعة لكنه يطيل لسانه في انتقاص بعض الصالحين... فيبتلى بعد حين بقسوة القلب، ومن ثم الوقوع في الصغائر والكبائر... فيفضحه الله ويختم له بسوء والعياذ بالله... وهذا من هتك الله تعالى لستر من تتبع عورات الصالحين. فما بالك بمن افتري على الصحابة رضي الله عنهم!  
- و قال عمر بن عبد العزيز: (مثل أصحاب رسول الله مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها) (الإنصاف للباقلاني، الطبقات)

بل قد شدد العلماء في هذا الشأن لخطورته... فالطعن في الصحابة طعن في معلمهم صلى الله عليه وسلم، وطعن في الدين الذي نقلوه إلينا.  
قال الإمام مالك في قوله تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ !!

قال مستدلا بهذه الآية: (كل من غاظه شأن الصحابة فهو ليس من

المؤمنين).  
و قال أيضا في الذين يقدحون في الصحابة : (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك. فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، و لو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين)

(الصارم المسلول ص 553) .

و ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أن أمير المؤمنين المهدي قال لعبد الله بن مصعب: (يا أبا بكر، ما تقول فيمن ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) قال: (زنادقة). فقال المهدي: (ما سمعت أحداً قال هذا قبلك!) قال أبو بكر: (هم أرادوا رسول الله ينقص، فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء. فكانهم قالوا: رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحبه صحابة سوء. وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء) فقال المهدي: (ما أراه إلا كما قلت).

وقال الإمام أبو زرعة: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق. وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة. والجرح بهم أولى وهم زنادقة) (رواه الخطيب في الكفاية ص 97 وابن عساكر في تاريخه 32/38).

وبعدُ فهذا جهد المُقِلِّ ما زدت فيه على أن جمعت ولخصت بعض ما في المؤلفات المذكورة للمشايخ الكرام مع تحليلات وتعليقات قليلة رجاء أن يكون هذا الكتيب سببا في تصفية قلوب المسلمين وزيادة حبهم لأصحاب سيد المرسلين وإمام المجاهدين المبعوث رحمة للعالمين حبيبيننا المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ورضي الله عنهم. فمن تحقق فيه ذلك فليدع لأخيه وللمشايخ الذين جمعت المادة من كتبهم بالخير والسداد... وما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يحبون الصحابة وينصرون الصحابة بالغيب، وأن يجمعنا بهم وبسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى من غير حساب ولا عذاب. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

د.إياد قنيبي

للتواصل والتعليق: [yequnaibi@yahoo.com](mailto:yequnaibi@yahoo.com)

ملاحظة: الكتيب متوفر بشكل إلكتروني في موقع [al-forqan.org](http://al-forqan.org)  
وحقوق الطبع والنشر لكل مسلم ومسلمة